الفصل الأول

تمهيد

ذكرت فى المقدمة أننى عرفت التصنيف لأول مرة، وكذلك المراجع العربية فى السنة الثالثة بقسم الوثائق والمكتبات. والحق أننى خصصت هذين المقررين بالذكر لأن اهتماماتى فيما بعد تبلورت حول التصنيف والتراث وكان لدراستى بالجامعة فى هذين المقررين امتداد فيما بعد فى حياتى العلمية والعملية. وقد وقفت فى المقدمة عند تخرجى من الجامعة فى سنة ١٩٦٢، وعملى بدار الكتب المصرية. وقد عين معى فى نفس الوقت مجموعة من زملائى، كما وجدنا زملاء آخرين أسبق منا تخرجا. وكانت دار الكتب فى ذلك الوقت محط آمال الكثيرين من الخريجين، حيث كانت المكتبة الوطنية لمصر وفى تلك الفترة بالذات وضعت أساسات المبنى الجديد لدار الكتب، الذى كان مخططاً له أن يكون مبنى راقياً جداً كما قيل لنا آنذاك.

وقد عملت بدار الكتب سنة وبضعة شهور حتى انتقلت للعمل معيداً بقسم الوثائق والمكتبات الذى تخرجت فيه، وهى الفترة التى استغرقتها عملية التعيين بالجامعة التى كانت تتم عن طريق الإعلان فى الصحف،. وتستغرق وقتاً طويلاً وتنطوى على إجراءات كثيرة. وكانت هذه آخر دفعة (١٩٦٢) يتم تعيينها بهذه الطريقة، أما فى السنوات التالية، فقد أصبح التعيين يتم عن طريق التكليف مباشرة، وهو ما أعفى الزملاء فى السنوات التالية من تلك الإجراءات الطويلة.

بدأت عملى بدار الكتب مديرا للمكتب الفنى لوكيل الدار. وكان ذلك من فضل الله علىّ، فقد كان وكيل الدار فى تلك الفترة (أصبح مديراً بعد ذلك) هو الأستاذ صلاح الحفنى رحمه الله، وهو من أنقى وأتقى وأطهر الشخصيات التى عرفتها فى حياتى، وأكثرها شفافية وورعاً. وقد استمرت علاقتى به بعد تعيينى بالجامعة وانتقالى إليها، وحتى وفاته سنة ١٩٧٧.

لقد كان لعملى بدار الكتب، رغم قصر المدة التى قضيتها، أثر كبير فى حياتى بعد، وكان فيها أحد المنحنيات المهمة فى حياتى على ما سأحكى.

والمفروض أن عملى بالمكتب الفنى كان دراسة التقارير الفنية التى ترد من الأقسام المختلفة للدار وإبداء الرأى فيها قبل عرضها على الوكيل ثم المدير. ولم تكن هذه التقارير كثيرة، بل كانت قليلة جداً بل نادرة. ولذلك كان عندى فراغ كثير. وحتى لا يضيع الوقت هباء كنت أستفيد منه بطريقة بناءه. فقد كنت أذهب كثيرا إلى قسم المراجع والببليوجرافيا، والذى كان يعد «النشرة المصرية للمطبوعات» والببليوجرافيات الموضوعية. ثم انتقلت بعد ذلك نهائيا إلى ذلك القسم لاكتساب الخبرة العملية الحقيقية. وكان لذلك أثره الكبير، حيث اكتسبت خبرة طيبة فى مجال العملى الببليوجرافى ومجال خدمة المراجع.

عملت مع زملائى فى إعداد «النشرة المصرية للمطبوعات» وهى تسجل الإنتاج الفكرى الذى يدخل إلى دار الكتب بموجب قانون الإيداع. ومن ثم فهى تمثل كل الإنتاج الفكرى المصرى تقريبا. وقد أتاح لى العمل فى النشرة خبرة طيبة فى مجال الفهرسة والتصنيف، ومن ثم فى التفاعل مع مشكلات فهرسة وتصنيف الكتاب العربى، وخاصة التصنيف، الذى وجدت نفسى مشدوداً إليه ومهتماً به اهتماماً كبيراً. فالتصنيف يعالج المعرفة، ومن ثم فهو يعطى الفرصة لإعمال الفكر وإدراك العلاقات، والفروق بين الموضوعات وتصب فيه كل قراءات وثقافة المرء، خلافا لبعض فروع علم المكتبات الأخرى التى لا يتوافر فيها هذا النوع من إعمال الفكر.

والخطة التى كنا نستخدمها فى تصنيف النشرة كانت التصنيف العشرى الموجز الذى ترجمه معدلا للمكتبات العربية اثنان من الرواد هما: الدكتور محمود الشنيطى والدكتور أحمد كابش. وقد أعداه تنفيذاً لتوصية الحلقة التى عقدت عن المكتبات فى بيروت سنة ١٩٥٩، وهى من أوائل الحلقات فى هذا الصدد.

هذه الترجمة المعدلة هى للطبعة الثامنة الموجزة من التصنيف العشرى الأصلى التى صدرت سنة ١٩٥٩ والتى هى مختصر من الطبعة ١٦ الكاملة من التصنيف العشرى التى صدرت سنة ١٩٥٨. وقد كانت تلك الفترة على قصرها غنية

بالخبرات. فمن ناحية أفادنى عملى فى الفهرسة والتصنيف فى اكتساب الخبرة، وكذلك فى التفاعل مع قضية الركائز الفنية. وقد جعلنى هذا اتجه إلى قراءة كتب التصنيف التى كانت توجد بدار الكتب، ومنها: كتاب سايرز المشهور Manual of Library classification، وكذلك كتب رانجاناثان ومنها كتاب كان قد صدر حديثا وهو Elements of Library Classification (١٩٦٢). وتزامن هذا مع دراستى للسنة التمهيدية للماجستير بقسم المكتبات. وكان من المتطلبات التى كلفنا بها أستاذنا الشينطى وبعض زملائى ـ البدء فى ترجمة دائرة معارف مهنة المكتبات أو فن المكتبات: Encyclopedia of Librarianship التى حررها توماس لانداو Thomas Landau والتى كانت طبعتها الجديدة قد صدرت حديثاً جداً فى سنة ١٩٦٢. وقد اخترت ترجمة المواد الخاصة بالتصنيف. حدث هذا التفاعل إذا بين العمل والدراسة والقراءة، وكان له أثره الكبير فى توجهى الدراسى والعلمى.

فى تلك الفترة أيضاً اشتركت فى ترجمة أكثر من كتاب من كتب التصنيف، وهى محاولات لم تر النور:

1. Fandamentals of Library Classification, 1951.
2. Sayers' Manual of Classification, 1959.
3. Primer of Book Classification, 1961.

والكتاب الأول ألفه كل من برنارد بالمر، وولز. وهو أول كتاب بريطانى يؤلف عن نظريات ومنهج رانجاناثان. والثانى وهو كتاب سايرز عمدة فى التصنيف، خاصة فى النظرية التقليدية، وفى تاريخ التصنيف. والثالث من تأليف فيلليبس، وهو أيضا عمل شامل فى التصنيف، ولكنه أقل من سايرز تركيزاً على التاريخ والنظريات.

هذه المحاولات جميعا لم تظهر إلى الوجود. وفى سنة ١٩٦٣ أيضاً درست لأول مرة كتاب ملز: Modern outline of Library Classification

فلما أخفقت محاولاتى السابقة، عقدت العزم على ترجمة كتاب ملز، وقد تم ذلك، ونشر فى سنة ١٩٦٦. وكان أول كتاب مهم يترجم إلى العربية فى موضوع التصنيف. وكان ذلك أيضا من المنحنيات المهمة. وهو استطراد جعلنى أسبق الأحداث قليلا، ولكنى سوف أعود إلى هذه النقطة فيما بعد.

أتاحت لى هذه الخبرات وتلك القراءات، ثم الترجمات، أن أطلع على عالم التصنيف الواسع بنظمه ونظرياته وقضاياه ومشكلاته، وجدلياته التى لم تنته إلى الآن. ودرست فيما درست نظرية التصنيف التقليدية ونظرية التصنيف عند المدرسة الحديثة، والخطط الأخرى، مثل بليس ورانجاناثان ومكتبة الكونجرس، فضلاً عن تعميق دراستى لديوى علماً وعملاً. هذا كله أتاح لى نظرة شاملة لقضايا التصنيف ومشكلاته. وتواكب هذا كله مع رغبتى فى اختيار موضوع لدراسة الماجستير، حيث كنت قد انتهيت من السنة التمهيدية للماجستير فى سبتمبر سنة ١٩٦٣.

وكان من الطبيعى وقد اكتشفت ميولى فى تلك الفترة أن أتجه إلى التصنيف. ولكن أى موضوع اختار. لقد كان هناك إحساس متجدد مع العمل اليومى فى تصنيف النشرة المصرية للمطبوعات ـ بعدم الراحة مع تصنيف ديوى، وبعدم كفاية هذه الخطة. وفى إحدى الليالى، وفى ومضة من ومضات الفكر هدانى الله سبحانه وتعالى إلى الموضوع الذى أعددته لرسالة الماجستير، وكانت الفكرة هى: لماذا لا ندرس إمكانية إنشاء خطة عربية للتصنيف. وهكذا أخذت أركز قراءاتى وأبلور أفكارى، إلى أن تم إعداد مخطط الدراسة فى مايو ١٩٦٤ وسجلت فى يوليو، وكانت فى موضوع:

دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف. وقد انتهيت من تلك الدراسة فى سبتمبر ١٩٦٧.

فى تلك الرسالة درست خمسة أنظمة هى: التصنيف العشرى، والتصنيف العشرى العالمى، وتصنيف مكتبة الكونجرس، والتصنيف الببليوجرافى لبليس، وتصنيف الكولون لرانجاناثان. كما درست الطرق المتبعة فى ترتيب بعض المكتبات العربية، وبعض التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى. وأخيراً درست نظريات التصنيف سواء نظرية المدرسة التقليدية، أو المدرسة العملية أو المدرسة الحديثة. وخلصت إلى ضرورة وجود خطة عربية للتصنيف تلبى احتياجات المكتبات العربية، وتبنى على الأسس الحديثة التى وضعتها المدرستان الهندية والبريطانية مع الأخذ فى الاعتبار حاجات الموضوعات العربية.

فى تلك الأثناء ألقت إلىّ المقادير بعمل يمثل أحد المنحنيات الرئيسية فى حياتى أيضا، وهو الاشتراك فى تحقيق كتاب: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم**. وهو من عيون كتب التراث، ويتسم بسمات لا توجد فى غيره من كتب التراث العربى: فهو موسوعة فى موضوعات العلوم العربية، وهو كتاب ببليوجرافى مهم، وهو موسوعة مصنفة وفق أرقى ما وصل إليه التصنيف عند المسلمين، وهكذا وهكذا من السمات. وقد كتبت له مقدمة درست فيها كل جوانبه فى إطار واسع من الحركة العلمية عند المسلمين. وهكذا كان لهذا الكتاب فضل كبير فى أن أعطى للتراث تحقيقا ودراسة وتكشيفاً فيما بعد ما يليق به، وتبلور حبى للتراث فى الكتاب ومقدمه.

ويمكن القول إنه فى الفترة من ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ تبلورت اهتماماتى ونشاطاتى فى العمل العلمى بصورة واضحة وانسابت فى المجالات الآتية:

أولاً: فى مجال الخطة العربية للتصنيف.

١. رسالة الماجستير وقد تحدثت عنها من قبل. وللأسف فإنها لم تطبع.

٢. رسالة الدكتوراة، وهى فى موضوع: **التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى**. وقد نوقشت فى ١٩٧٢. وطبعت فى السنة التالية (١٩٧٣). ونفذت منذ مدة طويلة. وتحت الإعداد الآن الطبعة الثانية من خطة تصنيف علوم الدين الإسلامى، ولكنها ستصدر بحول الله ومشيئته فى إطار جديد بعد خبره هذه السنين.

٣. مقال بعنوان: التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى. نشر فى أول عدد من مجلة الثقافة العربية (يناير ١٩٧٣).

٤. البحث الذى تقدمت به للمؤتمر الأول للإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى، الذى عقد بالرياض سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. وهو بعنوان: **نظم التصنيف فى الوطن العربى: المشكلات والحلول المقترحة**. وقد صدر ضمن أعمال المؤتمر، ثم أعيد طبعه.

٥. بحث عن: **التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى**

٦. بحث عن: **تجريب الخطة العربية للتصنيف.**

٧. بحث عن: **الببليوجرافيا الموضوعية العربية: علوم الدين الإسلامى،** وعلاقتها بتجريب الخطة العربية للتصنيف.

٨. **الخطة العربية للتصنيف:** الأسس والإطار العام.

٩. **الخطة العربية للتصنيف:** تصنيف التربية والتعليم وعلم النفس التربوى.

والأبحاث من ٥ ـ ٩ قدمت إلى المؤتمر الثانى للإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى الذى عقد فى بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. وقد صدرت ضمن أعمال وبحوث المؤتمر. ولما اشتكى الزملاء من عدم توفر هذه البحوث، أصدرتها فى كتاب شامل وأضفت إليها بحث مؤتمر الرياض، ومقدمة طويلة عن التصنيف فى مؤتمر بغداد، وكشافا لتصنيف التربية. وقد ظهرت جميعا فى العمل التالى:

١٠. **الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين:** الرياض ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ـ الرياض: دار العلوم، ١٩٧٨.

وقد اشتكى الزملاء من عدم وجود بعض الأعمال فى مصر، فبدأت فى إعادة طبع بعض الأعمال، ومنها:

(أ) **نظم التصنيف فى الوطن العربى:** المشكلات والحلول المقترحة. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. وقد قدمت له بمقدمة طويلة عن:

التصنيف فى مفترق الطرق، وهو بحث مستقل.

(ب) **الخطة العربية للتصنيف:** الإطار العام ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

وقد صدر الكتابان ضمن سلسلة: الخطة العربية للتصنيف، التى أنوى أن أصدر تحت اسمها كل ما يتعلق بهذه الخطة بحول الله وقوته.

أما الأعمال الأخرى فى مجال الخطة، فهى:

١١ . **نحو نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة**. مجلة الدارة (الرياض).

وقد أعيد طبعه فى كتاب: **بحوث فى المكتبات العربية**.

١٢ . **مستقبل الخطة العربية للتصنيف**. مجلة التربية (الكويت).

وقد أعيد طبعه ضمن كتابنا: **دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا**، ١٩٩٦ . وهناك بحث واحد باللغة الإنجليزية وهو:

13. Asuggested classification System for the Arabic Information Society.

وهو بحث تقدمت به إلى مؤتمر:

The Infrastracture of an Information Society.

وقد عرض على المؤتمر ثم صدر ضمن أعماله، التى صدرت عن:

Elsevier Science Publishers B.B.(North Holland)1984.

أما المؤتمر نفسه فقد عقد بالقاهرة، نوفمبر ١٩٨٢ .

ومن الصعب أن نتحدث عن الجهود التى بذلت فى مجال الخطة العربية للتصنيف فى هذا الفصل التمهيدى، أو أن نوجز كل ما اشتملت عليه الأعمال السابقة ولكن سوف يكون لها مكان إن شاء الله فى هذه السلسلة.

وفيما يتعلق بالوضع الراهن للخطة فخلاصة القول إن العمل الذى بدأته وجد ترحيبا من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وكان المأمول أن تستمر الجهود الطيبة لهذه المنظمة بالنسبة لهذا المشروع وغيره من المشروعات العلمية الكبيرة. ولكن ظروف المنظمة حالت دون ذلك. وآمل أن أستأنف جهودى على قدر الطاقة البشرية والله المستعان.

ثانيا: الأعمال فى مجال: الببليوجرافيا الموضوعية العربية

لما كنت من طائفة المتخصصين فى علوم المكتبات، ولما كنت أيضا باحثاً وخاصة فى مجال إعداد خطة عربية، فقد كان إحساسى بالمدخل الموضوعى وأهمية توفيره إحساساً قوياً، وكان إحساسى بأهمية التنظيم الموضوعى للإنتاج الفكرى

العربى قوياً جداً إلى حد الأرق؛ إذ يؤرقنى فعلاً ما عليه حالة الإنتاج الفكرى العربى من عدم تنظيم. وقد عانيت بنفسى كباحث هذا الأمر حينما كنت أعد رسالة الدكتوراة. وقد تحول هذا الأرق وتلك المعاناة إلى رغبة ملحة فى توفير سلسلة من الببليوجرافيات الموضوعية العربية، خدمة للباحث العربى وخاصة فى العلوم العربية والإسلامية. أما فى العلوم الأخرى كالطب والكيمياء والجيولوجيا، فهى ليست أحسن حالاً. وهناك أعمال عربية كثيرة فى هذه المجالات باللغة العربية وغيرها من اللغات لا يعرف عنها الباحثون شيئاً.

ولهذا تقدمت إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى إبريل سنة ١٩٧٣ بمشروع يهدف إلى إعداد سلسلة من الببليوجرافيات الموضوعية العربية، تتناول كل حلقة منها موضوعاً من الموضوعات. وتقديراً من المنظمة لقيمة الببليوجرافيات الموضوعية فى خدمة البحث العلمى والثفافة العربية، وهى التى أنشئت لخدمتها، ونظرا لافتقار الإنتاج الفكرى العربى الشديد إلى مثل هذه العمل وهو الأمر الذى يؤثر سلبا على الثقافة العربية، ويعوق البحث العلمى ـ نظرا لذلك فقد وافق المؤتمر العام للمنظمة (يناير ١٩٧٤) على تنفيذ الخطة التى قدمتها، واتفق على أن يبدأ المشروع بعلوم الدين الإسلامى، وأن تنفذ حَلْقةٌ من الحلقات كل عامين.

وقد توافق العمل فى المشروع مع البدء فى تنفيذ توصيات مؤتمر الرياض، والتى كانت تقضى باستكمال الخطة العربية للتصنيف، والبدء بتجريب خطة تصنيف علوم الدين الإسلامى، التى وافق عليها المؤتمر. واندمج المشروعان فى عمل واحد، حيث كانت الخطة أن تصنف الببليوجرافية وفق تصنيف علوم الدين الإسلامى، وأن تكون ـ إلى جانب كونها مشروعاً مستقلاً ـ جزءاً من تجريب الخطة العربية للتصنيف ومعملاً لهذا التجريب. وقد أثمر العمل فى الببليوجرافيا عن إعداد:

١٤. **الببليوجرافيا الموضوعية العربية: علوم الدين الإسلامى**. ـ القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨. ٧ مج.

وللأسف الشديد فإن الميزانية التى رصدت للمشروع لم تتسع لنشر العمل، وإنما

طبعت منه على الأوفست نسخ محدودة ذهب معظمها إلى الجهات المختلفة كإهداءات، ودون خطة معينة، حتى أنه من النادر أن تجد نسخة واحدة كاملة فى مكتبة واحدة، حيث أن المنظمة كانت ترسل النسخ إلى اللجان الوطنية للمنظمة فى الدول المختلة وهى التى تتولى إهداءها إلى المكتبات، وآخر مجلد وهو مجلد ضخم عن علم الكلام، وعن حركات الإحياء والإصلاح والتجديد لم يطبع منه إلا مائة نسخة فقط. وعلى هذا فإن الفائدة المرجوة من هذا العمل لم تتحقق ويظل الأمر فى حاجة إلى دفعة قوية حتى يرى العمل النور فى طبعة جديرة بأن يستفيد الناس من العمل.

ولما انتقلت المنظمة إلى تونس، أصبح حال المشروع مثل حال الخطة العربية للتصنيف. وإلى الله المشتكى وهو سبحانه المستعان.

وقد أعددت عن المشروع بحثاً مهماً نشر فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض خلال مدة عملى بها (١٩٧٨) ثم أعدت طبعه فى عمل آخر، وهو: بحوث فى المكتبة العربية. ـ الكويت: مكتبة الثقافة، ١٩٨٥. وهذا البحث هو:

١٥. **الببليوجرافيا الموضوعية العربية: علوم الدين الإسلامى.**

ثالثا: الأعمال فى مجال التراث العربى:

إن حب التراث العربى: موضوعاته وأهله محفور بعمق فى كيانى كله لأننى أؤمن إيماناً راسخاً لا يتزعزع بأن هذا التراث بما اشتمل عليه من علوم وقيم هو أهم ما تملكه الأمة الإسلامية والعربية، وأن هذا التراث هو الذى يمثل شخصية الأمة، وهو الذى كان السبب فى قوتها، وأن الابتعاد عنه ـ علوما وقيما ـ هو السبب فيما آل إليه حالنا من ضعف وتخاذل، وأنه إذا أردنا أن نعود إلى ما كنا عليه من قوة وعزة ومنعة، وإذا أردنا أن نحافظ على شبابنا وأجيالنا من التيارات الفكرية الوافدة، ومن العولمة، ومن الإنترنت، ومن الفضائيات، إذا أردنا ذلك فلابد أن نَعَضَّ على تراثنا بالنواجذ، وأن نبعث قيمه الراقية لكى تكون سلوكا لنا، حتى يصير حيًّا يمشى بين الناس، أو يمشى به الناس.

ولحرصى على الأمة العربية والإسلامية، وغيرتى عليها، ورغبتى أن تكون كما أراد الله لها: خير أمة أخرجت للناس، لم آل جهدا فى الدعوة إلى حصر التراث العربى ونشره وخدمته وتكشيفه. وإذا نظرنا إلى الصورة من جميع زواياها، فإننا يمكن أن نقول إن المشروعين الكبيرين اللذين نذرت لهما حياتى، هما الخطة العربية للتصنيف، والببليوجرافيا الموضوعية العربية، هما عملان كبيران لخدمة التراث العربى، لا بالمفهوم الضيق ولكن بالمفهوم الواسع الذى ينظر إلى كل العلوم على أنها عربية إسلامية ما دامت تؤدى دورها فى المجتمع الإسلامى. هذه الأعمال كلها تصب فى خدمة التراث العربى بجميع علومه، وتصب فى خدمة العلوم العربية ـ بالمعنى الواسع ـ وفى خدمة البحث العلمى، وفى خدمة الثقافة العربية والإسلامية، ومن ثم فهى تؤدى حين تتم على الوجه الأكمل إلى رفعة المجتمع الإسلامى وتقدمه، وإلى أن يقوم الإسلام والمجتمع الإسلامى بدورهما فى تقديم رسالة الإسلام إلى العالم باعتباره دعوة عالمية. ولا يمكن للمجتمع الإسلامى أن يقدم رسالة الإسلام إلى العالم، والمسلمون على هذا النحو من التشتت والتشرذم والضعف. إن المجتمع الإنسانى لا تقنعه النماذج الهزيلة، وإنما يقتنع بالنماذج القوية، ولا يمكن أن يكون مجتمعنا الإسلامى الآن ممثلاً للإسلام القوى العزيز: دين الله الذى اختاره لهداية البشر ورفعتهم وتقدمهم:

﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾.

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾.

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيراً ﴾.

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾.

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾.

إلى غير ذلك من الآيات التى تبين عموم رسالة الإسلام ودور الأمة الإسلامية باعتبارها الأمة الوسط. والتراث يمثل ذلك كله. ومن ثم فلا يمكن لنا أن ننهض إلا بحصره وخدمته ودراسته واستخراج ما فيه من قيم وأخلاق وحكم وعظات وسلوكيات جميلة.

إذا فالأعمال تتكامل فيما بينها فى خدمة التراث الإسلامى والفكر الإسلامى. وأقصد هنا بهذه المجموعة التى تلى من الأعمال، الأعمال التى كتبت أو اهتمت بالتراث بصورة مباشرة، وهى:

١٦. ماذكرته من اشتراكى فى تحقيق:

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم. (١٩٦٨).

١٧. **أربعة كتب ببليوجرافيةعربية**. القاهرة، مجلة الكتاب العربى، إبريل ١٩٧٠. أعيد نشره فى بحوث فى المكتبة العربية.

١٨. بحث فى مجلة الثقافة العربية (المنظمة العربية ١٩٧٤) بعنوان: **مقترحات لجمع وخدمة التراث العربى**.

١٩. بحث فى مجلة مكتبة الإدارة (الرياض، ١٩٧٦) بعنوان:

الخطة العربية للتصنيف والببليوجرافيا الموضوعية العربية ودورهما فى خدمة التراث العربى.

٢٠. بحث فى مجلة الدارة (الرياض ١٩٧٩) بعنوان: **قضية التراث**. وقد أعيد طبعه فى كتاب: بحوث فى المكتبة العربية.

٢١. كشافات مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ٣ مج.

وقد أعد بمناسبة الأسبوع الذى عقدته الجامعة عن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأعدت له بجمع مؤلفاته كلها فكانت فى اثنى عشر مجلداً. وقد قمنا بإعداد هذه الكشافات المفصلة، والتى تمثل النموذج الأول للتكشيف الدقيق للكتب العربية، وهو أمر حتمى إذا أردنا خدمة هذا التراث.

ثم كتبت عن التكشيف أيضاً البحث التالى:

٢٢ ـ **تكشيف كتب التراث**. مجلة عالم الكتب (الرياض) ع٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

رابعاً: جهود فى مجال التأليف

ومن الواضح أن الجهود فى مجال البحث والببليوجرافيا وخدمة التراث، بل وحتى الترجمة تطغى على الجهود فى مجال التأليف. لقد كان الكاتب فى المراحل المختلفة مشغولاً بدور أو أدوار معينة ولم يلتفت إلى تأليف الكتب والدراسية منها بصفة خاصة. ومهما دافعنا عن هذا الموقف إلا أنه جعل هناك فراغاً ملأته الكتب، سواء فى ذلك الغث والسمين منها.

ولعل التفاتى إلى هذا العمل الحالى فى المرحلة الراهنة أن يسد هذا الفراغ، وأن يصلح الخلل، ولعل أحد الدوافع هى إحساس بالتقصير فى حق القراء والطلبة والأساتذة والمكتبيين العرب، وسوف أعود إلى ذلك بعد. وبطبيعة الحال أقصد بالتأليف: الكتب، وليست الأبحاث.

وفى هذا المجال فليس للكاتب إلا عمل واحد هو:

٢٣. **التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات**. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. ثم جزء أو قسم من كتاب:

٢٤. **التصنيف العملى والتكشيف**. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. والقسم الأول من الكتاب هو عن قواعد التصنيف العمل. أما القسم الثانى فهو كتاب مترجم كامل.

أما الكتب الأخرى، فهى إما أبحاث أكاديمية، مثل رسالة الدكتوراه؛ أو مجموعة أبحاث مثل: الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، والكتابان اللذين أعدت نشرهما من تلك البحوث، ومجموعات أبحاث ومقالات؛ مثل بحوث فى المكتبة العربية؛ أو مجموعة أعمال مثل: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا.

خامساً: بحوث عن الكتاب العربى وعن ثقافة الطفل: وهنا نجد بحثين:

٢٥. **الخدمات المكتبية للطفل العربى وسبل تطويرها.** وقد قدم إلى: ندوة ثقافة الطفل فى المجتمع العربى الحديث، التى عقدت بالكويت، ١٩٨٣، وصدر ضمن أعمال الندوة. ثم أعيد طبعه، ضمن: بحوث فى المكتب العربية، ١٩٨٥.

٢٦. **مشكلات الكتاب العربى من التأليف إلى القراءة.**

وقد نشر لأول مرة فى مجلة عالم الكتب (الرياض)، الجماديان ١٤١٣، ديسمبر ١٩٩٣. ثم أعيد نشره ضمن: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا.

سادساً: جهود فى مجال الترجمة:

٢٧. **نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات/** تأليف ج. ملز. ـ القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦. أعيد طبعه ١٩٨٢.

٢٨. **الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته/** تأليف جيسى شيرا، مرجريت إيجان. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

٢٩. **تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق/** تأليف أ.س، فوسكت. ـ الرياض: دار العلوم، ١٩٨٠. ٢مج.

٣٠. **الببليوجرافيا النسقية/** تأليف لوين روبنسون. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. ضمن كتاب: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا.

٣١. **التحليل الموضوعى:** الأسس والإجراءات/ تأليف. لانجريدج. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦ القسم الثانى من كتاب: التصنيف العملى والتكشيف.

٣٢. **التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر/** تأليف راو ألورى، د. ألاسدير كمب، جون بول. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨.

واهتمام الكاتب بالترجمة أساسى جداً وذلك لتوفير مصادر المعرفة وتوطئة أكناف

العلم للقارئ العربى. وقد عبر عن اهتمامه بقضية الترجمة وتعريب المصطلحات وتكوين مكتبة عربية، الخ، مراراً وتكراراً. وقد أفرد فصلاً فى الكتاب الأول من السلسلة ـ الكتاب الحالى لقضية الترجمة والتعريب والمصطلحات، فلا داعى للإطالة هنا.

تلكم هى الأعمال التى تعبر عن شخصية الكاتب. وليست هى كل الأعمال بطبيعة الحال، ولكن يمكن اعتبارها أهم الأعمال.

ولعله قد حان الوقت الان للحديث عن السلسلة.

سلسلة المكتبة العربية فى تنظيم المعرفة

منذ بدأت خطواتى الأولى فى العلم وأنا أعمل على توفير كتاب فى موضوع التصنيف يكون شاملاً للموضوع. وقد حاولت ذلك فى الكتب الأولى: سايرز وفيليبس وبالمر. وكان من الطبيعى أن يتجه تفكيرى فى البداية إلى الترجمة، باعتبار أن المجال كان لايزال خاليا من الأعمال المهمة والرائدة، وأننى بدأت تلك الأعمال فى وقت مبكر من عمرى، ولم تكن الخبرة تكفى للقيام بعمل شامل مهم فى الموضوع، فضلاً أن مثل هذا العمل هو مشروع علمى كبير وكنت وقتها أعْطى الأولوية لاستكمال الدراسة الأكاديمية. وقد تحدثت فى الصفحات السابقة عن المحاولات الأولى وكيف أنها لم تر النور لسبب أو لآخر، حتى وصلت إلى كتاب جاك ملز: Modern Outline of Library Classification, 1960

هذا الكتاب هو الذى حل محل كتاب سايرز فى مدرسة المكتبات بجامعة لندن، وكان بالمر يدرسه ويقول إنه أفضل كتاب فى الموضوع، عرفت ذلك من الإخوة الذين درسوا فى جامعة لندن، وأولهم هو الأخ الدكتور عبد الحليم محمد وهو أخ من السودان، حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة الإسكندرية (١٩٥٨)، ثم درس علوم المكتبات فى جامعة لندن وحصل على الدبلوم (١٩٦٣)، وكانت رسالته تحت إشراف بيرسون Pearson محرر Index Islamicus، الذى تتلمذ عليه أيضا الأخ

والصديق د. عبد الستار الحلوجى فيما بعد. المهم أن الأخ أحمد عبد الحليم (هو الآن سفير السودان بالقاهرة) حضر إلى اقاهرة صيف ١٩٦٣ لكى يستكمل بعض البيانات والمعلومات المتعلقة برسالته حتى يتسنى له نشرها. والتقينا، وعرفت منه ما ذكرته الآن عن ملز، واستعرت نسخته وقرأتها فوجدت هذا الكتاب هائلاً، يختلف عن الكتب السابقة التى قرأتها، أو حاولت ترجمتها، فأسررت فى نفسى أن أترك الكتب السابقة وأن أترجمه عندما تحين الفرصة. وقد حانت الفرصة فى السنة التالية (١٩٦٤) فقد كنت مرشحا فى بعثة إلى الولايات المتحدة، وفيما أنا أكمل إجراءات السفر، عرفت أن هناك نقصا فى التمويل، وأن هناك محاولات لتحويل البعثة إلى منحة على هيئة الفولبرايت، مع عدد من المبعوثين. وبدأنا فى الاستعداد للسفر، وكان من ذلك ضرورة اجتياز الامتحان المعروف TOEFL، وهو يعقد لأول مرة خارج الولايات المتحدة، المهم أن السفر تأجل أكثر من مرة، وتعثرت البعثة. فى تلك الفترة وفى مدة الانتظار التى طالت شهوراً ترجمت كتاب ملز عن نسخة الصديق الدكتور الحلوجى. وقد جعلت هذه الترجمة شغلى الشاغل حتى انتهى منها قبل السفر!!!. فلما اتضحت الصورة ويئست من السفر كنت قد انتهيت من الترجمة وكان ذلك فى أوائل ١٩٦٥، ثم أخذت فى مراجعته وتبييضه، ليدخل المطبعة فى ديسمبر ١٩٦٥، ويتم صدوره فى أكتوبر ١٩٦٦، بعنوان:

نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية

والكتاب معروف للدارسين والطلبة العرب فى كل مكان، وقد سد فراغاً كبيراً فى الموضوع طوال فترة الستينات والسبعينيات فى العالم العربى. وقد كان كتاب الستينات فى بريطانيا، وقرظه كل أساتذة الموضوع بمن فيهم فيكرى وفوسكت. ولا يزال هذا هذا الكتاب إلى الآن ضمن قوائم القراءات فى الكتب المهمة، من أمثال أ. س. فوسكت، ووابنر، ومارسيلا ريتا، وراولى، ودافيسون، وغيرهم، رغم أنه لم يطبع

فى لغته الإنجليزية بعد ذلك، إلا أنه قد صدرت منه طبعة هندية ولكنه أعيد إصداره عدة مرات.

وبعد ملز شغلت فى الانتهاء من رسالة الماجستير، فلما وفقنى الله لذلك فى ١٩٦٧، شرعت فى ترجمة كتاب الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته The Classified Catalog: Principles and practices, 1956 تأليف جيسى شيرا، ومرجريت إيجان.

وكانت وجهة نظرى هى أن كتاب ملز يتيح للطلبة والمكتبيين دراسة أنظمة التصنيف المختلفة، ونظريات التصنيف، وهذا يساعد فى اختيار النظام الذى تصنف به المكتبة. وبعد أن تختار المكتبة النظام فلابد أن تعد الفهرس المصنف. ولذلك فقد رأيت أن أترجم كتاب الفهرس المصنف حتى يكون دليلاً للمكتبة عند بناء الفهرس المصنف وصيانته.

وقد ترجمت الكتاب لتبدأ قصة نشره، والتى حكيتها فى مقدمة، بل فى مقدمات، الإصدارات المختلفة، وأسميته: الكتاب العجيب لأنه تعرض لظروف عجيبة فى كل مرة ينشر فيها. وأخيراً نشر نشرة غير منكوبة فى سنة ١٩٩٦.

وكتاب الفهرس المصنف هو الكتاب الوحيد فى الموضوع. ومؤلفاه، وخاصة شيرا من علماء مجالنا ومنظريه ومؤرخيه. ولذلك فإن وجوده بالعربية مهم جداً للأستاذ والطالب والمكتبى. وقد ترجم إلى ستة عشرة لغة آخرها العربية (وقت الترجمة). وقد سعد بترجمته مؤلفه حينما أخبره د. محمد فتحى عبد الهادى بذلك، وأرسلت إليه ثلاث نسخ من الترجمة (١٩٧٦).

وأثناء عملى فى الدكتوراة فيما بين السنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢، أتيح لى أن أقرأ كتاباً جديداً فى الموضوع، هو كتاب أ. س. فوسكت.

The Subject Approach to Information, 1st ed. 1969.

وقد وجدته كتاباً كبيراً فى محتواه وفى معالجته، وهو يمثل مرحلة جديدة من

مراحل تطور مجال تنظيم واسترجاع المعلومات هى مرحلة التكامل بين طرق الوصول إلى المعلومات من خلال الموضوع: التصنيف ورؤوس الموضوعات والتكشيف. وقد عزمت بعد قراءة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩، عزمت على ترجمته. ولما كنت منهمكاً وقتها فى إعداد رسالة الدكتوراه، فقد تأجّل العمل إلى حد ما بعد الانتهاء منها. فلما تم لى ذلك بدأت فى ترجمة الطبعة الثانية منه، والتى كانت صدرت بسرعة بعد انتهاء الطبعة الأولى فى سنة ١٩٧١.

وقد سارت الترجمة بطيئة بسبب انشغالى فى مشروع الببليوجرافيا الموضوعية العربية، والخطة العربية للتصنيف، والكتاب كتاب كبير يحتاج إلى وقت وتفرغ لم يتاحا لى فى تلك المرحلة.

وفى غضون ذلك عملنا فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على إصدار سلسلة دراسات عن المعلومات، وكان من نصيبى الكتاب الثالث فى السلسلة، وهو: التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، الذى تم إعداده فى سنة ١٩٧٦، ونشر فى سنة ١٩٧٧. والكتاب ليس كتاباً شاملاً فى الموضوع، ولكنه يعطى إطاراً عاماً، ثم يركز على مباحث حديثة فى الموضوع. وقد يعتبره البعض من الزملاء نواة لكتاب شامل، ومنهم الأخ والصديق د. محمد فتحى عبد الهادى الذى كان يُلحُّ على دائما فى إعداد عمل شامل فى موضوع التصنيف.

وفى سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م أُعرتُ للعمل بقسم المكتبات بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وخلال السنة الأولى من عملى أتممت ترجمة كتاب فوسكت، ودفعت به إلى المطبعة سنة ١٩٧٧، لأفاجأ بظهور الطبعة الثالثة من العمل الأصلى سنة ١٩٧٧ أيضاً، وتصلنى نسخة منها، ولم أتردد، فسحبت الكتاب من المطبعة، واستغرق العمل فيه عاماً آخر، ثم استغرق طبعه وقتاً طويلاً بسبب أنه كان يطبع فى مصر وأنا فى الرياض، ليظهر أخيراً فى سنة ١٩٨٠.

وخلال تلك الفترة، وخاصة بعد الانتهاء من الدكتوراه، كان تأليف عمل عربى شامل فى التصنيف شاغلاً دائماً لفكرى، يلحُّ علىَّ، وكنت أمنّى النفس باستمرار أن

أجد الوقت والفراغ اللازمين لإنجاز مشروع كبير كهذا. كنت أُرضّى نفسى وأقنعها بأن الأعمال التى أترجمها، والأبحاث التى أنجزها، كلها تصب فى قناة إنجاز هذا العمل، حيث تمكن من استكمال أدواته. وكلما طالت المدة زاد التردد. ولا أدرى لماذا كنت أتهيب هذا العمل، رغم أننى لم أكن أفتقر إلى الجرأة فى اختياراتى وفى مشروعاتى العلمية فكلها مشروعات طموحة تحتاج إلى فرق أو إلى جيش من الباحثين والببليوجرافيين، وإلى مؤسسات كبيرة لإنجازها. ولكن لماذا ترددت كثيراً قبل هذا العمل، لا أدرى. ربما لأن التصنيف هو تخصصى، وأمانة الكلمة تفرض علَىّ أن هذا العمل يجب أن يخرج فى الصورة التى ينتظرها الزملاء، قد يكون هذا حقاً ولكن من المؤكد أنه كانت هناك أسباب أخرى.

فالإنسان منا مهما كانت عزيمته يتأثر أحياناً بالظروف التى تحيط به، تصيبه أحياناً فترة بسبب ما يراه من اختلال للقيم، سواء القيم الأخلاقية أو القيم العلمية وهى قيم أخلاقية أيضاً. والوسط العلمى فى كثير من الحالات تشوبه شوائب بسبب تصرفات أناس محسوبين على العلم والتعليم وهو منهم براء، تصرفات أناس أخطأوا طريقهم إلى العلم، وهم ليسوا من أهله، وهى تصرفات تسمم الوسط العلمى، وتشغل المرء بتوقى الضربات حتى والله لقد تكسرّت النصال على النصال. وقد قال لى مسئول ما فى مكان ما فى زمن ما، وقد كنت أهدى إليه بعض أعمالى: كيف تنتج وتعمل فى هذا الجو المسموم؟ والحق أن الرجل قد صدقنى مع أنه كذوب، لأن الجو فعلاً كان مسموماً، ولكنه أحد المسئولين عن ذلك، باعتبار منصبه، فقد كان بوسعه أن يوقف التصرفات التى تسمم الجو، وأن يتصدى للظلم والظالمين، ولكنه لم يفعل. وبهذا يكون شريكاً لهم. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقالوا: يا رسول الله: ننصره مظلوماً، فيكف ننصره ظالما، فقال صلى الله عليه وسلم: بأن تمنعه من أن يظلم، اما أن يعرف المسئول الظلم ويسكت عنه ولا يمنع الظالم أو يرده فهو شريك له فى ظلمه فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والله سائل كل امرئ عما استرعاه أحفظه أم ضيعه. وقد والله ضيعت الأمانة، ووسد الأمر إلى غيره، فلننتظر الساعة. كيف يعيش الباحث فى جو من

المؤامرات والدسائس التى يترفع عنها بسطاء الناس بله علماؤهم. وماذا يفعل المرء وهو يرى هذا الضياع الأخلاقى الذى ينقص من رصيد الأمة ويضيع وقتها فيما لا طائل من ورائه؟

وقد بلغت المأساة ذروتها فيما فعله صدام العراق حين اعتدى على الكويت: الأرض والشعب والمقيمين، وفعل بالجميع ما يترفع الأعداء عن فعله بأعدائهم. ماذا جناه هؤلاء جميعا لكى تنتهك حرماتهم وتسرق بيوتهم ويعتدى عليهم ممن ينتسبون إلى الأمة ويحسبون منها، وهم أنكى عليها من أعدائها، إن طعنة الصديق تصيب القلب:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

لقد كانت صدمة الثانى من أغسطس ١٩٩٠ هى النكبة الثانية التى أصابت الأمة بعد نكبة اغتصاب فلسطين، وهى التى انتقصت رصيد الأمة إلى الصفر أو ما دونه. ما ذنب الأجيال العربية والإسلامية حتى تدفع ثمن أخطاء رجل واحد أفقد الأمة ما لم تفقده على يد رجل واحد فى تاريخها. هل يمكن أن يكون هذا الرجل مسلما؟ وما الفكر الذى أنجب مثل هذا الرجل. من الضرورى أن تدرس الأمة من خلال تخصيص مركز أبحاث متخصص أفكار هذا الرجل والطغمة الفاسدة التى تقف معه والذين جعلوا الأمة تفقد حاضرها وربما مستقبلها، وتعود إلى الوراء مائة سنة، فى حين كان المطلوب أن تتوحد وتتفق ويكون لها كيان كبير وقوى تواجه به الكيانات القوية والكبيرة فى العالم. ولا زال هذا الرجل ومن حوله ينعقون ويسومون شعبهم سوء العذاب.

لقد ألقيت محاضرة فى نوفمبر ١٩٨٩ فى الموسم الثقافى بكلية التربية الأساسية بالكويت، عن مشكلات الكتاب العربى من التأليف إلى القراءة، وتحدثت فيها عن معوقات العمل العلمى، ومن ثم تأثير ذلك على الكتاب العربى تحقيقاً وترجمة وتأليفاً وبحثا، ووجم الحاضرون، وطلب منى أحدهم فى نهاية المحاضرة ألا أتركهم على هذه الحالة من التشاؤم والقتامة، وأن أومئ إلى الحل، وقلت لهم إن هذا ليس

تشاؤما، وإنما هو حديث عن المشكلات، وهى حقيقية، وأنه لا يأس مع الحياة، ولاحياة مع اليأس، وأن الأمل فى التربية: تربية المجتمع الإسلامى والعربى وتعليمه، ولكن من يعلم من؟.

كان هذا فى سنة ١٩٨٩، مع أن الصورة كانت أفضل كثيراً.

فقد كانت الحرب العراقية الإيرانية التى أشعلها أيضاً هذا الصدام قد وضعت أوزارها، وعادت مصر إلى الصف العربى بعد أكثر من عشر سنوات، وبدت الصورة أكثر إشراقاً، وأكثر أملا، لنفاجأ بعد شهور قليلة بأن هذا الصدام يدوس كل القيم والأعراف العربية والإسلامية والإنسانية ويهدر كل معانى الخير والحق، ويفقد الأمة تضامنها ويقسم صفها. كل هذا لمصلحة من؟ لمصلحة الشيطان واسرائيل بطبيعة الحال. هل يمكن أن يكون هذا المخلوق إلا خائنا متآمراً على الأمة وعلى الإسلام والمسلمين.

إن هذه الصدمة قد تركت جراحا فى نفسى، وتركت أثراً فى أولادى لا يزالون يعانون منه إلى الآن، بعد أن انتهبت سيارتهم وبيتهم، وسرقت طفولتهم، وانتقلوا فى يوم وليلة من حال إلى حال، وهى صدمة لا يتحملها الكبير فكيف بالغض الصغير؟ حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد.

والمصيبة أن المدرسة الصدامية موجودة فى أماكن كثيرة، ربما ليست بهذه الحدة فى كل مكان بطبيعة الحال، ولكن الأخلاق نفس الأخلاق والمفاسد نفس المفاسد. فبالله عليك قل لى: كيف يعمل المرء فى هذه الأجواء، أجواء المؤامرات والدسائس والزور والكذب، وتالله ما أنا بمبالغ فيما أقول، وربى على ما أقول شهيد.

وعلى كل حال، فإن دوام الحال من المحال، أسأل الله سبحانه أن يكشف الغمة عن الأمة، وأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا وأن يغيرحالنا إلى أحسن حال، وأن يرفع مقته وغضبه عنا إنه ولى ذلك والقادر عليه، وهو سبحانه خير الراحمين، وخير الناصرين، وخير الحافظين، وخير الماكرين، وخير الرازقين، وخير الوارثين، وخير

الفاصلين وخير المسئولين، وخير الحاكمين وخير الفاتحين، وخير المعطين، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء:

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾.

صدق الله العظيم

ونسألك يا أرحم الراحمين أن تفرج عن الأمة ما هى فيه إنك سميع مجيب.

وعفوا أخى القارئ فلم أستطع أن أمنع نفسى من هذه السطور وما يجيش فى النفس أكثر بكثير، ولكن هذا المقام ليس مقام انطلاق الخواطر، وإنما هو فقط مقام التذكير. وإنما هى نفثة مصدور بعد أن فاض الكيل وبلغ السيل الزبى.

ولكن لا محل للقنوط واليأس، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ورحم الله شاعرنا إذ يقول:

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

وشاعرنا الآخر:

ولُربَّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

والأفضل منهم دعاء ذى النون عليه السلام: **﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين﴾.**

ودعاء الخليل عليه السلام حين ألقى به فى النار:

﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾.

وبعد تفكير وتأمل وبعد أن أفقنا من الصدمة، وجدت أن الحل لا يكون بالفتور

والانزواء، وإنما يكون بالعمل والبناء، وأن المرحلة تتطلب من أبناء الأمة المخلصين أن يعملوا أكثر وأكثر وأن يكافحوا ويجاهدوا، ورحم الله شوقى إذ يقول:

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ولذلك فقد أخذت ألملم شتات نفسى، وأستجمع قواى، وأرتب أوراقى، وأستأنف نشاطى بعون من الله وتوكل عليه سبحانه، وتوفيق منه. بدأت بإعادة طبع بعض الأعمال، وترجمة أعمال أخرى، مثل الببليوجرافيا النسقية، والتحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات، ثم التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر.

وكان هذا يسير جنبا إلى جنب مع أعمال أخرى أهمها استئناف العمل فى إنجاز هذا المشروع الكبير: العمل الشامل فى موضوع التصنيف.

وحينما أخذت أراجع أعمالى السابقة لم أجد من بينها عملاً يصلح أن يكون مثل هذا العمل الشامل. وإن سمات كل عمل مسجلة فى مقدمته كما أننى قد ذكرت متطلبات دراسة وتدريس الموضوع فى الفصل السادس. ومنعا للإطالة، فقد قررت أن أنجز عملاً شاملاً، يكن مرجعاً للأستاذ والطالب والمكتبى والمصنف. وقد بشرت به فى مقدمة كتابى الأخيرين.

وحينما أخذت أرتب مادتى، وجدت أن العمل لا يمكن أن يكون كتابا وسيطا وإنما يحتاج إلى أن يكون مرجعاً شاملاً. وقد أشار على أخى وصديقى د. سيد حسب الله، أن أجعله موسوعة، ومع احترامى لرأيه، إلا أننى وجدت أن كلمة موسوعة قد ابتذلت واستهلكت بعد أن وضع البعض هذا الاسم على أعمال لا هى موسوعة ولا هى حتى كتاب جيد. وهدانى الله إلى أن أجعل الأعمال حلقات تنتظمها سلسلة واحدة يخصص كل كتاب منها لموضوع منفرد.

وحتى تشتمل السلسلة على كل المعلومات وحتى يكون هناك إطار واضح للعمل، فقد رأيت أن تكـون السلسلة شاملة بحيث تعكس حالة الفن State of the art.

بالنسبة لتكامل طرق الوصول إلى المعلومات ، أى أن تكون سلسلة فى تنظيم المعرفة، وليس فى التصنيف فحسب.

والكتاب الأول فى السلسلة يتعرض للقضايا والأمور العامة بما فى ذلك المفاهيم والمصطلحات. وسوف أتحدث عنه فيما بعد إذ ليس من المعقول أن يسبق الجزء الكل. ولكن أريد فقط أن أقول إن السلسلة شاملة لكل جوانب تنظيم المعرفة، بالمفهوم الذى عرفته فى الفصل الثانى من هذا الكتاب. وقد تضمن الكتاب أيضاً فصلاً عن تعليم التصنيف، وفيه خطة مقترحة تشمل كل موضوعات التصنيف ومباحثه وقضاياه. وحتى لا أكرر نفسى، وحتى لا تطول الصفحات أكثر مما طالت، فإن الإطار العام الذى رسمته هذه الخطة هو الإطار العام الذى سوف أسير عليه فى هذه السلسلة. وأتصور أن تكون أجزاء هذه السلسلة بالنسبة للقضايا العامة ثم بالنسبة للتصنيف على النحو الآتى:

اسم السلسلة

المكتبة العربية فى تنظيم المعرفة

أما كتبها فأتوقع أن تكون على النحو الآتى:

١ . الكتاب الأول، وهو الكتاب الذى بين أيدينا:

تنظيم المعرفة: مدخل عام وقضايا رئيسية فى التنظيم والتصنيف.

٢ . الكتاب الثانى: دور التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات بين الوظائف التقليدية والاسترجاع المبنى على الحاسب.

٣ . الكتاب الثالث: تاريخ التصنيف وتطوره.

٤ . الكتاب الرابع: نظريات التصنيف ومدارسه.

٥ . الكتاب الخامس: المدرسة العربية الإسلامية.

٦ . الكتاب السادس: انشاء نظام التصنيف.

٧. الكتاب السابع: نظم التصنيف: التصنيف العشرى وتعديلاته العربية

٨. الكتاب الثامن: نظم التصنيف: نظم التصنيف ماعدا ديوى.

٩. الكتاب التاسع: نظم التصنيف المتخصصة.

١٠. الكتاب العاشر: الخطة العربية للتصنيف.

١١. الكتاب الحادى عشر: التصنيف العملى.

١٢. الكتاب الثانى عشر: إدارة التصنيف.

١٣ الكتاب الثالث عشر: التصنيف وتكنولوجيا المعلومات.

وهذه دعوة صادقة للأخوة الزملاء المهتمين بموضوعات تنظيم المعرفة من فهرسة وصفية وتصنيف ورؤوس موضوعات وتكشيف وببليوجرافيا ـ دعوة صادقة لهم أن يسهموا فى هذه السلسلة لتكوين مكتبة عربية فى تنظيم المعرفة وليس التصنيف فقط. ومن ناحيتى فإننى سوف أسهم كذلك فى بقية فروع التنظيم، ولكننى سوف أترك أرقام الكتب على النحو الذى سجلته آنفا حتى لا يقطع التسلسل. وأى إضافة ستكون بعد رقم (١٣) إن شاء الله.

وليس بوسعى الآن أن أعطى تفاصيل وفصول كل كتاب، وإن كانت جاهزة ولكنى أتركها لكل كتاب على حدة إيثاراً للاختصار ومنعا للتكرار والفصل السادس على كل حال يلقى ضوءاً كاشفاً على مجلدات الموضوع، والتى كما ذكرت سوف تكوّن الإطار العام للعمل ككل. وأى خصوصية تتعلق بأى كتاب من الكتب سوف تكون مع الكتاب.

الكتاب الأول:
تنظيم المعرفة:
تنظيم المعرفة مدخل عام
وقضايا رئيسية فى التنظيم والتصنيف

يتألف هذا الكتاب من ستة فصول:

١ . الفصل الأول:

تمهيد، وهو الفصل الذى بين أيدينا الآن ويتناول أموراً عامة، وأموراً خاصة بالسلسلة كلها.

٢ . الفصل الثانى:

تنظيم المعرفة، وهو الموضوع الأعم الذى يمثل التصنيف جزءا منه. وهو فصل ضرورى لأن السلسلة فى تنظيم المعرفة وقد كان ولابد من شرح المفاهيم والمصطلحات الخاصة بتنظيم المعرفة، وعناصر هذا التنظيم حتى تكون صورة السلسلة واضحة، ومجالاتها معروفة. فضلاً عن أن الفصل مدخل عام للموضوع ككل. ويمكن اعتبار هذا الفصل أيضا وحدة من الوحدات الدراسة فى موضوع التصنيف أو أى موضوع من موضوعات التنظيم باعتبار أن أى واحد من هذه الموضوعات هو جزء من موضوع أعم هو تنظيم المعرفة.

٣ . الفصل الثالث:

قضية الركائز والعمليات الفنية فى المكتبات العربية. وهو يتناول قضية مهمة من

قضايا العمل فى المكتبات العربية، وكذلك من قضايا تنظيم المعرفة، حيث أن تلك الركائز هى التى تكون أدوات وتقنيات العمل فى التنظيم، ومن ثم فهى أساس الممارسة. ومن ثم فقد كان من الضرورى دراسة القضية فى مستهل دراستنا لموضوعات تنظيم المعرفة.

٤ . الفصل الرابع:

قضية المصطلحات بين الترجمة والتعريب والتأصيل والتوحيد. ولها تأثيرها أيضاً على العلوم بصفة عامة، ومن ثم على مجال المكتبات ومجال تنظيم المعرفة بصفة خاصة كما أوضحت ذلك. ولذلك تناولت القضية فى إطارها العلمى الأعم ثم فى الإطار الخاص بتنظيم المعرفة.

٥ . الفصل الخامس:

وهو عن تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات فى الوطن العربى والحقيقة أن قضية التدريس أيضاً من القضايا المهمة. ولعل ما كتبته هنا عن تدريس التصنيف يمثل أنموذجا بالنسبة لمقررات أخرى فى أية خطة دراسية، خاصة وقد تناولنا بعض الأهداف والأسس العامة التى يمكن أن نجدلها مثيلاً فى مقررات أخرى.

كذلك فإن هذا الفصل يرسم إطاراً شاملاً لموضوع التصنيف يفيد فى التدريس وفى التأليف. وهو الإطار الذى سوف تحاول السلسلة أن توفره فى صورة كتب يتناول كل منها موضوعاً من الموضوعات. وهو يتناول أيضاً الأسباب التى تجعلنا ندرس المباحث والوحدات المختلفة، ومن ثم فهو يعفينا من ذكر هذه الأمور فى هذا الفصل التمهيدى.

٦ . الفصل السادس:

وهو عن المفاهيم والمصطلحات والتعريفات الأساسية فى موضوع التصنيف. وهو يعطى التعريفات والمفاهيم والمصطلحات التى تمثل بداية أساسية لدراسة الموضوع. وهو يعد الوحدة الدرسية الثانية فى منهج دراسى مقترح للتصنيف حيث من الضرورى أن نبدأ المصطلحات والتعريفات، فبدأنا بالفصل الثانى عن تنظيم المعرفة

بصفة عامة، ثم الفصل السادس عن التصنيف بصفة خاصة، وذلك حتى تبدأ الكتب التالية فى السلسلة بموضوعات مخصصة.

وقد يبدو أن هناك شيئا من التكرار بين الفصلين الخامس والسادس، ولكن هذا التكرار يمليه أمران:

أ. تكامل المعالجة، حيث لا يجوز أن أقسم معالجة موضوع واحد أو مبحث أو تعريف واحد هنا وهناك.

(ب) الغرض من كل فصل. فالفصل الخامس يتناول قضية التدريس وهى قضية تهم الأستاذ أولاً، ومن ثم فهى تتناول حواراً ومناقشة للموضوعات التى يجب أن تدرس ولماذا تدرس، فى حين أن الفصل الخامس هو وحدة دراسية للطالب أساسا أى أن فيه مادة دراسية. ومن ثم فإن قدراً من التكرار قد يكون أحياناً ضروريا ولا يمكن تجنبه، حتى لا تبتر المعالجة هنا أو هناك.

ويلاحظ أن الفصل الخامس يتناول مبررات تدريس كل مبحث من المباحث وبالتالى: المباحث التى يجب أن يشتمل عليها هذا العمل بأجزائه وكتبه وهذا يعفينا من تبرير هذا العمل، حيث أن الكتب التى ظهرت فى الموضوع سواء كانت مترجمة أم مؤلفة لا تغطى هذه المباحث جميعا. وتظل هناك حاجة ماسة إلى عمل عربى لحما ودما يجمع شتات الموضوع ويوفر المعلومات والتفاصيل التى يحتاجها الأستاذ والطالب والمكتبى فى الوطن العربى. والتى يمكن أن تمثل نقطة بداية للباحث فى هذه الموضوعات فهى ترسم خريطة شاملة يظهر على قسماتها وملامحها كل جزء من الموضوع فى مكانه الصحيح.

وأخيراً، فإن خطة العمل ككل، ثم خطة الكتاب الأول، قد كتبتها عدة مرات حتى تستقيم على الصورة المبتغاة، وأسأل الله سبحانه وتعالى لهذا العمل القبول، وأن يعيننا علـى إتمام بقية أجزائه وأن يجعل عملنا كله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعل ثوابه الجنة: ﴿ **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾.